

مَنْ هُنا وَمَنْ هُنَا

أشهر كتب المصاحف الحديثة

كان مؤلفو العرب يعنون عناية فائقة بوضع كتب الخلاصات للمعلوم والفنون والآداب ؛ وكانت كتبهم تكبر وتكبر حتى تقدم موسوعات ضخمة تسعف القارى بما يحتاج اليه من المعارف العامة والنبذ الخاطفة من كل علم وفن ؛ ولعل كتاب الأغاني هو أول موسوعة عربية من نوعها . ومن الموسوعات العربية أيضاً كتاب نهاية الأرب للنويرى ، وصبح الأعشى للقلقشندي ولسان العرب لابن منظور المصرى ، والمقد الفريد لابن عبدربه ومسالك الأمصار ، وتاريخ بغداد ... الخ ، وقد اقتبس الغرب هذه الطريقة الموسوعية عن أسلافنا العرب ، فوضع ديدرو موسوعته الفرنسية ، ثم كان للإنجليز موسوعتهم كذلك ، ونحسب أن الموسوعة الإيطالية الحديثة التى اشترك فى وضعها الطاغية موسوليني هى أكبر موسوعات العالم قاطبة ، وإن تكن لا تفضل الموسوعة البريطانية فى الدقة وتوخى الحقيقة فيما حفلت به من سائر المعارف العالية ، ولكن هذه الموسوعات غالية الثمن غالباً ؛ ولا يستطيع الأفراد إلا الأقلون منهم اقتناءها لهذا السبب ، فتمن الموسوعة البريطانية الرخيصة مثلاً (الطبعة الرابعة عشرة) خمسة وعشرون جنيهاً أو أكثر إذا دفع الثمن على أقساط ؛ وثمن الطبعة العالية أكثر من خمسة وسبعين جنيهاً مصرباً . وقد وضعت شركة الكتب الإنجليزية Everyman دائرة معارف للأعلام على طريقة وفيات الأعيان لابن خلكان وجعلت ثمنها أربعة جنيهات

لذلك راجت كتب الخلاصات Ourlines فى أوروبا عامة ، وإنجلترا خاصة ، وكان الأديب الإنجليزي الكبير هـ . جـ . ولز هو البتدع لهذه الطريقة الطريفة ، وذلك حين وضع كتابه الجليل « خلاصة تاريخ العالم » ، يستعرض فيه تاريخ الحياة فى هذه الدنيا منذ بدء الخليقة إلى اليوم ، فأنت تقرأ فيه لمحة من كل علم ،

وطرفة من كل فن ، وخطفة من كل أدب ، وينتقل ولز من الجيولوجيا إلى الأثروبولوجيا ، إلى البيولوجيا ، إلى التاريخ ، إلى الآداب ، إلى الفنون ، إلى العلوم ، إلى الحركات الفعالة التى تناولت الأمم بالهدم والبناء ... وكل ذلك بأسلوب طلى ، وروح وناب ، وعبارات مشرقة غير مملولة . ولا يكاد القارى يلتبس شيئاً فى خلاصة ولز هذه إلا وجدها ، وهذه مهارة محمد للمؤلف ، والخلاصة على نفاستها رخيصة الثمن جداً بحيث يستطيع القارى العادى اقتناءها دون أن يرهق جيبه

وقد وضع ولز خلاصة ثانية لا تقل فى قيمتها عن خلاصته الأولى ، ولا تزيد فى ثمنها عليها ، تلك هى كتابه القيم (الانسان ، عمله ، ثروته ، سعادته) ، ويعرض فيه لطائفة رائعة من فنون العمل والحياة لا تكمل ثقافة الانسان إلا اذا وعها

وقد ألف الكاتب الشاعر الإنجليزي (جون دنكوتير) خلاصته فى آداب العالم ، وهى برغم ما فيها من الشوائب ، وما يتور بجونها من القصور الميب أحياناً ، خلاصة قيمة بما حفلت به من تاريخ الأدب العالمى منذ فجر التاريخ إلى اليوم فى كل أمة ... إلا ... الشرق ؛ وإن يكن قد تناول آداب الشرق القديمة بفصول مشوهة مبتورة ، وإن يكن أيضاً قد خص الأدب الإنجليزي بأكثر نصيب من خلاصته ؛

أما الخلاصة الأدبية القيمة حقاً فهى تلك التى كتبها الأديب المؤرخ الأمريكى الشهير برتن راسكو والتي سماها (جباية الأدب أو - أعظم كتاب العالم) ، وقد اختار لها برتن راسكو أربعين أديباً وشاعراً من أكبر أدباء التاريخ وشعرائه ، بدأهم بهوميروس وختمهم بجورج مور ، ثم ختم الخلاصة بلمحة عن الأدب العالمى فى الخمسين سنة الأخيرة . وبرغم هؤلاء الأربعين أديباً ، فانك لا تكاد تذكر أديباً أو كاتباً فى كل عمود التاريخ إلا وجدت المؤلف حام حوله ، وأعطاك لمحة عما همك جداً من فنه وطريقته

وكان (ايرل أسكس) يوجب بيبكون ويميل الى نمينه ، فلما ضاعت بمجهوداته عبثاً عنز عليه أن يقتل اليأس نفس الشاب النابغة ، فحذب عليه وواساه مواساة طيبة ، ثم وهب له أرضاً واسعة تغل له غلة كبيرة ، وقصران من أنعم قصور لندن على نهر التاميز !!

ودار الزمن دورته ، وساءت الأحوال بين الملكة وبين ايرل أسكس ، وقدم للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى ، فانتدبت الملكة أعز أصدقاء الأيرل ، فرنسيس بيبكون ليكون عضواً في الهيئة التي تتولى الدفاع عنها ... فاذا جرى ؟ ! لقد كان بيبكون أشد المستشارين حماسةً للملكة ضد صديقه الذي حذب عليه ، وأبعد عنه شبح الفاقة ، ورغم ما كان يبدو من براءة الأيرل ، ورغم ما كان يبدو من ميل بقية المستشارين الى تبرئته ... ولم يكتمف بيبكون بهذا الموقف الشاذ اللثيم ، بل قدم مذكرة مسهبة بادانة صديقه ، ثم طلب في نهايتها الحكم عليه بالأعدام ! وكافأته الملكة على حماسه ، فرفعته الى أعلى المناصب ،

وأغدقت عليه أرفع الألقاب ، حتى غدا (لورد بيبكون !)

ولما كتب بيبكون كتابه في الأخلاق (Essays) عقد فيه فصلاً من أحط ما عرفت البشرية عن (الحب والزواج والعزوبة) وذكر فيه أن الحب هو علاقة جنسية خالصة ، وغريزة شهوية وضعية ، وأن المرأة بذلك إن هي إلا متعة للرجل وأنها مطيته الى اللذة الحيوانية الطارئة ... الخ ... فلما تقدم الى ليدي هاتون بطلب يدها لم تستح هذه المرأة المثقفة أن تصغفه في وجهه بهذه الكلمة الخالدة « ليذهب الفيلسوف البهيم الى غابة قريبة فلينتق له بهيمة تكون مطيته الى لذة طارئة ثم لياقها فلسفته ! »

ودار الزمان دورته مرة ثانية ، وأخذت الألسن تلوك اشاعات مخزبة عن رشا يأخذها النائب العمومي (وكان هو بيبكون في هذه الآونة) واضطر مجلس العموم الى أن يتور طالباً محاكمته أمامه ... فلما مثل الرجل وشرع الأعضاء بقذفونه بالتهمة تلو التهمة ، لم يسمه إلا أن يعترف ، ولم يسمه إلا أن يكي ... والتمس من المجلس أن يامله برحة ... وحكم عليه بغرامة هائلة قدرت بأربعمائة الف جنيه ، ثم بالسجن المؤبد ... ولكنه لم يحبس غير ليلة واحدة ، ثم عفت عنه الملكة ! !

وأشهر مؤلفاته ، ومع ذلك فتمن كتابه زهيد جداً لذلك انصرف الناس عن الموسوعات لفلاحتها ولاشتمها على موضوعات لا تهم غالبيتهم الى الخلاصات لخص ثمنها وتركزها في باب بعينه كما في خلاصة الفن وخلاصة الموسيقى

يبكون بين النفس والسمال

يقول بعض مؤرخي الأدب الإنجليزي فيدي أنه لا يوجد منذ أرسططاليس الى فرنسيس بيبكون فيلسوف مثل بيبكون ! ومع اعترافنا بما كان لهذا الرجل من الأثر الكبير في ذهن الإنجليز في عصر النهضة فاننا لا نفضله على كثيرين من أبطالها ولاسيما هارثي وكيلر وغاليليو . وقد اشتهر بيبكون بتفضيله التجربة في العلوم على الاستدلالات المنطقية المقيمة وأكثر المؤرخين على أنه ليس مبتدع تلك النظرية ، فقد سبقه اليها العرب ، ثم اقتبدها عنهم غير بيبكون من علماء النهضة . وكان بيبكون معروفًا دائماً بالشدوذ الغريب حتى إنه كان يؤلف أحسن كتبه باللاتينية وذلك لعدم ايمانه بالإنجليزية في ذلك العصر ! !

على أن الذي يعيننا في هذه اللحظة عن بيبكون هو خلقه الذي انحدر اى الحفيض الأسفل من اللؤم والضمعة . قال بوب « بيبكون فيلسوفنا المحترم ! هو أعظم بنى الانسان وأعقلهم ، كما أنه أخسهم وألأمهم ! ! » ولندالة بيبكون قصة مشجية تلخص فيما يلي :

عند ما عاد بيبكون من باريس كان أبوه قد مات ، وكان أخوه الأكبر قد استولى على جميع التركة بحكم التقاليد الانكليزية البالية التي كانت سائدة وقتئذ في ذلك الشعب المحافظ العتيق . والتحق بيبكون بوظيفة في أحد الفنادق ليعيش ، ثم أكب على دراسة القانون حتى نال اجازة الحقوق فأنخرط في سلك القضاء فأبدى نوعاً عظيماً وعبقريه فذة . وكان اللورد بيرلي يعرف ما لهذا القانوني الشاب من خطر ، فشرع يقيم في سبيله المراقيل حتى لا يبذ ابنه روبرت سيسيل الذي كانت له مطامح وآمال في أكبر المناصب القضائية في إنجلترا . فلما شغرت وظيفة (الأثوكاتو العمومي) رشح لها بيبكون ، ببصريته ورسوخ قدمه في القانون ، ثم روبرت سيسيل بحسبه ونسبه وصلاح أبيه — اللورد بيرلي — في الحكومة ومزنته السامية لدى الملكة اليزابث ، وكانت هذه المؤهلات كلها (!) كفيلاً بتعيينه في النصب واطراح بيبكون

إلى صديقي أحمد أمين

[بنية المنشور على صفحة ٩٢٢]

للسلطان ؟ أم ترى أنا شغلنا عن النقد الأدبي بالدفاع عن قوم لم يكونوا يدافعون عن أنفسهم لأنهم لم يحسنوا هذا الدفاع أو لم يقدروا عليه أو لم يريدوا أن يتورطوا فيه ؟ أليس أول ما يجب على المؤرخ الأدبي وعلى المؤرخ بوجه عام أن يكون منصفاً ؟ أترى من الانصاف أن تزعم أن الذين حفظوا للشعب المصري مظهر مقاومته للظلم وأدوا اليه رسالة ساسته وقادته ، وأدوا الى ساسته وقادته ما كان يضطرب في نفسه من الآمال والأمانى ، وما كان يشور في قلبه من العواطف ، كانوا منهزمين يدارون ويمجارون ويؤثرون العاقبة ؟ مهلاً أيها الصديق فقد يفهم من الشعوب قصر الذاكرة ، ولكنه لا يفهم من خاصة الناس وقادة الرأي وحفظة التاريخ . والغريب أن رأيك هذا في إخوانك الكتاب يظهر أنه قد أعجبك حتى أهلك عن حقائق ما كان ينبغي أن تلهو عنها . فهؤلاء الكتاب المنهزمون في رأيك لم تشغلهم هذه السياسة العنيفة المنكرة عن الأدب ولا عن النقد ؛ وإنك لتعلم أنهم جميعاً كانوا يخاصمون في السياسة وجه النهار ثم يفرغون لأدبهم آخراً ؛ وكلهم قد أنتج في الأدب أثناء المحنة ، وفي الأدب الخالص الذي لا يتصل بالسياسة ولا يمت إليها بسبب ؛ ومنهم من اتخذ السجن وسيلة إلى هذا الانتاج ؛ ومنهم من لم تصرفه ظلمة الحياة العامة وشدة الحياة الخاصة عن أن يجول في عالم الفن جولات ثم يعود منه ومع زهرات في الشعر أو في النثر يهديها اليك لتلهوا بها وتستمتعوا بشذاها ، وتستعينوا بذلك على المضي في أعمالكم الهادئة المطمئنة

مهلاً أيها الصديق فقد يخيل إلى أن هؤلاء الكتاب أنفسهم لم يهملوا النقد نفسه في ذلك الوقت ولم يقصروا في العناية به ؛ وإذا لم تكذبني الذاكرة فاتهم قد تقدموك أنت وتناولوا كتبك بما ينبغي لها من العناية والدرس ؛ وإذا لم تكذبني الذاكرة فقد كانوا يفرضون على أنفسهم برغم السياسة وأتقالتها وأهوالها ، وبرغم الحياة الشاقة التي كانوا يحيونها ، والتي عرفت منها شيئاً وغابت عنك منها أشياء ؛ كانوا يفرضون على أنفسهم أن يقرأوا ما يظهر من الكتب والدواوين وأن يقولوا رأيهم فيه ؛ كانوا يفرضون على أنفسهم صفحة أدبية في الأسبوع يفرغون لها اليوم أو أكثر

هذه لمحة عن أخلاق الرجل الذي وضع كتاباً في الأخلاق
ذم فيه أخلاق نبينا !!!

وهذا هو الرجل الذي يخلط بعض مؤرخي الآداب فيدعي أنه كتب كثيراً من الدرامات التي تمزى الى شاكبير !!
ترجمته القرآني

لا ندرى إذا كان على إمارة المسلمين في زماننا هذا رجل مثل المأمون فإذا عساه كان صانعاً بمن يقولون بدم جواز ترجمة معاني القرآن بعد ما أقرها أكثر العلماء ؟ ماذا كان يصنع المأمون بالأستاذ محمد سليمان بعد الذي صنمه بالامام الكريم ابن حنبل في فتنة خلق القرآن ؟ !

لقد كنت أود لو أن الأستاذ محمد سليمان يجيد اللغة الإنجليزية إذن لأرسلت إليه نسخة من ترجمة جورج سيل أو الاسكندر روس أو غيرها ليقراً بنفسه ما جاء فيها من الشطط في ترجمة الآيات . وهو لو علم أن المسلمين ، غير العرب ، في مشارق الأرض ومغاربها يتلون كتاب الله في هذه التراجم ، ويكاد يصبأ بعضهم لما يلحظه من الضعف والسخف فيها ، لهتف حضرته مع الهاتفين بضرورة ترجمة معاني القرآن ...

هافلوك أليس

ذكرنا في العدد الماضي من « الرسالة » كلمة عن إياحيين من إياحيي الأدباء الانجليز هما لورانس وجيمس جويس ، وقد فانتا أن نشير إلى الملاقة بين مذهبهما ومذهب النحطين من مثل أوسكار ويلد وأخرايه . ونذكر في هذا العدد العالم الكبير هافلوك أليس لا على أنه إياحي مثل لورانس أو مثل جويس ، وإن دعا هو الآخر إلى التمتع بلذائد الحياة من ذهنية وحسية وعدم كبت الغرائز والتفريح عنها ... ولكن بالوسائل المشروعة

وهافلوك أليس عالم في التناسليات ، ولكنه بكل أسف ليس أديباً ، ولكن الأدباء في انجلترا يصلون بينه وبين جمهورهم لأنهم متأثرون به

ولأليس ضريب آخر هو برتراند رسل سنتكلم عنه في العدد

القادم

(ر . خ)

أن يتم لهم ذلك ما بين طرفة عين وانتباهتها كما يقول القائل ؛
وفيهم كبرياء لا تخلو من سخف ، ومن سخف يذكر بأخلاق
الأطفال ؛ فهم إن كتبوا رأوا لأنفسهم العصمة ، ولم ينتظروا من
النقاد إلا ثناء وحمداً . فان أدركهم بعض النقد قالوا : حسد وتكبر
واضطهاد وأثرة وتنبيط للهم . وفيهم غرور يخيل إلى كل واحد
منهم أنه ممتاز من أترابه جميعاً . وهما أنس فلن أنسى كاتباً
أضاع مودة وصداقة وجباً وعطفاً لا لشيء إلا لأني جمعت بينه
وبين كاتب من معاصريه في فصل واحد ، وكان ينبغي أن يمتاز في
رأيه ، وإلا لأني دعوته إلى أن يستزيد من القراءة فمد هذا
اسرافاً واعتداءً .

أمام هذا الجيل الرخو من الأدباء الناشئين يضيق الناقد
المخلص بالنقد ويزهده فيه ويصد عنه صدوداً في بعض الأحيان ،
ولكنه لا يلبث أن يرى حق الأدب عليه فيستقبل من أمره
ما استدر ، ويثني على قوم وهو يعلم أن ثناءه سيملؤهم غروراً
وسيجرحهم عن أطوارهم ، ويبيب قوماً وهو يعلم أن عيبه إيأم
سيدفعهم إلى اليأس إن كانوا أخياراً ، وسيدفعهم إلى القححة إن كانوا
أشراراً

ونحن برغم هذا بل من أجل هذا نحض في طريقنا لا نقف
كما يظن بعض الناس ، ولا نرجع كما تظن أنت أيها الصديق ، لأنك
في أكبر الظن قد لا تتابنا أحياناً ، وقد تطلب منا ما نطلب من
أنفسنا ونحول ظروف الحياة بيننا وبينه

أما بعد ، فاني أحب أن أؤكد لك أني أنا خاصة ما زلت عند
رأبناك القديم في ، صريحاً إلى أقصى حدود الصراحة ، جريئاً إلى
أقصى حدود الحراة ، مستعداً في هذا العام إلى أن أستأنف
ما فعلت منذ عشر سنين ، وإلى أن أستأنف ما فعلت منذ أربع
سنين . وإني لشديد الأسف أن كانت ثقة الأستاذ كراتشكوفسكي
بي أقوى وأشد من ثقتك أنت ، فانه لم يتردد في مقدمة ترجمته
للإيام أن يتنبأ بأن ما عرض لي من الخطوب ليس كل شيء ، وأنه
ينتظر أن يعرض لي مثله . ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها فلا
تتعجل ، فمن يدري ؟

وأنا أرجو بعد هذا كله أن تتلقى هذا الفصل بسدر رحب .
فاني أهديه اليك تحية صديق يسمر لك أصدق الحب وأوفاه
لمصين

من اليوم ، ويعرضون فيها للنقد كما تحبه وترضاه ، ولست أدري
كيف نسبت أن المقالات التي كانوا يذيعونها في النقد أثناء هذه
الأعوام الأخيرة قد كانت تثير من الخصومات شيئاً كثيراً ،
منه ما يثور بينهم هم ، ومنه ما يثور بينهم وبين الأدباء الناشئين .
ولعلك لم تنس بعد أن خصومة تأرت بيني وبين هيكمل حول ثورة
الأدب ، وأخرى بيني وبين المقاد حول اللاتينية والسكسونية ،
وثالثة بيني وبين المقاد حول ديوان من دووايته . فانت ترى أن
إخوانك لم يقصروا ولم يفتروا ، ولم يسالم بعضهم بعضاً . ولم يأمن
بعضهم شر بعض . ولعلك لم تنس أني قد أخذت الراديو في بعض
الأحيان وسيلة من وسائل النقد ، فكنت أشد حياءً على الكتاب
الذين استمرت مررتهم وتم لهم النضج ، وأرق حيناً آخر للكتاب
الذين لم تستقم لهم الأمور بعد ؛ وأنا أقهم أن تطالبنا بالزهد وألا
تكتفي منا بما نعطي ، فنحن نطالب أنفسنا بالزهد ولا نكتفي من
أنفسنا بما نتج ، ولكن هذا شيء ، ووصفنا بالمدارة والمجازاة وإثارة
العاقبة شيء آخر

وبعد فليس السبيل على الذين أدوا واجههم الأدبي كما استطاعوا
وما زالوا يؤدونه كما يستطيعون برغم ما عملاً حياتهم من الهموم
وما يمترض طريقهم من الشوك ، وإنما السبيل على الذين يتاح لهم
الهدوء ويستمتعون بالبال الرخي والحياة المستقيمة الطمئنة ثم
لا ينفقون لأنهم لا يقرأون ، أو لا ينفقون لأنهم يقرأون ويشفقون
إن أعلنوا آراءهم أن يتنكر لهم الناس وأن يساقهم أصحاب
الكتب بالسنة حداد

إلى هؤلاء أيها الصديق تستطيع أن تسوق الحديث ، وعلى
هؤلاء أيها الصديق تستطيع أن تصب اللوم صباً

وأخرى لا أريد أن أختم هذا الفصل قبل أن ألم بها اللامأ .
فانت تذكر قوماً قد استووا على عروش الأدب وقد آمن
بعضهم بعضاً وخافهم الناشئون ، فانت إذن تعيد الخصومة بين من
يسمون الشيوخ ومن يسمون الشباب جذعة . وأظنك توافقني
على أن التفكير في هذه الخصومة لا يخلو من بعض الحزن . فقوم
هذه الخصومة فيما أعلم أن الأدباء الناشئين ضعاف أترؤن مجنون ،
يخيل إليهم أن النقد يحوم من سجل الأدباء محوياً ، مع أن النقد
يشبههم فيه إبتاتاً . يريدون أن يبلغوا بالجهد اليسير ما بلغه أسلافهم
بالمطولة والمحاولة واحتمال الأذى وكثرة القراءة والدرس ، ويريدون